منهج القرآن الكريم في الرد على الشبهات «خصائصه وقواعده»

د. مي بنت عبد الله بن محمد الهدب

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البريد الإلكتروني: *maalhadab@imamu.edu.sa*

(قدم للنشر في ٠٥/ ٠١/ ١٤٤٢هـ؛ وقبل للنشر في ٢٦/ ٠٢/ ١٤٤٢هـ)

المستخلص: يُعنىٰ هذا البحث ببيان منهج القرآن في الرد علىٰ الشبهات، ويهدف إلىٰ الإسهام في تأصيل وتقعيد علم الانتصار لكتاب الله تعالىٰ، وبيان أبرز القواعد التي دلّ عليها القرآن في عرض الشبهة والرد عليها؛ لأنها الأصل الذي ينبني عليه الدفاع عن كتاب الله تعالىٰ، كما يهدف إلىٰ إبراز جهود المفسرين من علماء الأمة في الإشارة إلىٰ قواعد الرد علىٰ الشبهات وفق العرض القرآني، وإظهار خصائص المنهج القرآني في الرد علىٰ الشبهات، وقد سلكتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي التحليلي، وخلصتُ إلىٰ نتائج منها:

- أن القرآن الكريم هو المصدر الأول الذي يُعتمد عليه في تأصيل علم الانتصار لكتاب الله تعالىٰ.

- أن للمفسرين جهودًا بارزة في بيان المنهج القرآني وقواعده في الرد علىٰ الشبهات، ولهم بذلك قصب السبق في تقعيد هذا العلم.

- أن المنهج القرآني في التعامل مع الشبهات قد فاق المناهج العقلية بما له من خصائص تميّزه عن غيره.

- أن الرد علىٰ الشبهات بصفة عامة لابد أن يقوم علىٰ قواعد ضابطة، وأن يسير وفق منهج علمي، ليُحقق مقصوده.

ومن أهم التوصيات: العناية بإبراز جهود العلماء المتقدمين في بيان قواعد الرد علىٰ الشبهات بالنظر في مؤلفاتهم، ومزيد العناية بالتأصيل لعلم الانتصار لكتاب الله تعالىٰ، والخروج بدراسات أكاديمية متكاملة في هذا الجانب.

الكلمات المفتاحية: الشبهات، القواعد، الرد، الانتصار، المنهج.

***



The method of the Quran in responding to suspicions: its advantages and rules

Dr. May Abdullah Al-Hadab

Assistant Professor, Department of the Qur'an and its Sciences, College of Fundamentals of Religion, Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University
Email: maalhadab@imamu.edu.sa

(Received 24/08/2020; accepted 13/10/2020)

Abstract: This research means clarifying the method of the Quran in responding to suspicions, and aims to contribute to the establishment and restriction of the science of victory for the Quran, and to clarify the most prominent rules that the Quran indicated in displaying suspicion and responding to it. The defense of the Quran is based upon the basis. The research aims to highlight the efforts of the interpreters of the scholars in referring to the rules for responding to suspicions according to the Quran presentation, and to show the characteristics of the Quran approach in responding to suspicions. In this research, the inductive approach and the descriptive and analytical approach were used in this research, and he concluded results, including:

-The Quran is the primary source on which to base the knowledge of the victory of Quran

-The interpreters made remarkable efforts in explaining the Quran approach and its rules in responding to suspicions, and they have the forefront in retiring this knowledge.

-The Quran approach to dealing with suspicions has outweighed many mental approaches, with its characteristics that distinguish it from others.

-The response to suspicions in general must be based on controlling rules, and must follow a scientific method, in order to achieve its goal.

Among the most important recommendations: Care to highlight the efforts of advanced scholars in explaining the rules for responding to suspicions by looking at their literature, and more attention to rooting for the science of victory for the Quran, and to produce integrated academic studies in this aspect.

Keywords: Suspicions, rules, response, victory, method.





المقدمة

الحمد لله رب العالمين، منزل الكتاب بالحق المبين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله تعالىٰ قد تكفّل بحفظ كتابه من التغيير والتبديل، وردّ عنه شبهات المبطلين عند نزوله، وأصّل الجواب لما قد يرد منها بعد زمن التنزيل، ولا تزال جهود المشككين فيه متظافرة لإثارة الشبهات حوله بمناهج علمية مدروسة، ومؤلفات تتبناها جهات أكاديمية، فكان لابد من مواجهة هذه الجهود وفق منهج علمي دقيق للانتصار لكتاب الله تعالىٰ، ولا شك أن أول ما يُستعان به في ذلك هو ما دافع به القرآن عن نفسه، وما بيّنه من طرق العرض والنقد.

ولمّا كان منهج القرآن الكريم في رد الشبهات هو أشرف المناهج وأكملها، وكان للمفسرين قديمًا وحديثًا جهود بارزة في بيانه، وتجلية معالمه عند تفسير الآيات التي تناولت الشبهات، فقد برزت الحاجة إلىٰ الوقوف علىٰ هذا المنهج، وبيان أهم معالمه بالنظر في أقوال أهل التفسير، ومن هنا جاء هذا البحث ليعرض عددًا من أبرز خصائص المنهج القرآني وقواعده في الرد علىٰ الشبهات وفق البيان القرآني، وهو بعنوان: **(منهج القرآن الكريم في الرد علىٰ الشبهات: خصائصه وقواعده)**.

*** أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

١- فضل الانتصار لكتاب الله تعالىٰ، وما فيه من شرف الاقتداء بالنبي ﷺ الذي كان أول من انتصر لكتاب الله ودينه، وردّ الشبهات عنه.

٢- المكانة البارزة للمنهج القرآني، فطريقة القرآن في الدفاع عن نفسه هي أهم



الطرق وأشرفها.

٣- كثرة الشبهات وتجددها بتجدد الزمان، واتصالها بالشبهات في وقت التنزيل، مما تبرز معه الحاجة إلىٰ الاستعانة بالجواب القرآني لإبطالها.

٤- الأثر المهم لوضع القواعد في بناء العلوم بصفة عامة، وبناء النقد الدقيق في علم الانتصار للقرآن علىٰ وجه الخصوص.

*** أهداف البحث:**

١- الإسهام في تأصيل وتقعيد علم الانتصار لكتاب الله تعالىٰ، في ظل الحاجة القائمة إلىٰ ذلك.

٢- بيان أبرز القواعد التي دلّ عليها القرآن في عرض الشبهة والرد عليها؛ لأنها الأصل الذي ينبني عليه الدفاع عن كتاب الله تعالىٰ.

٣- إبراز جهود المفسرين من علماء الأمة في الإشارة إلىٰ قواعد الرد علىٰ الشبهات وفق العرض القرآني.

٤- إظهار خصائص المنهج القرآني في الرد علىٰ الشبهات.

*** الدراسات السابقة:**

ظهرت بعض الدراسات التي تُعنىٰ بالتأصيل لعلم الانتصار للقرآن، وقد اهتمت ببيان الجانب النظري والتطبيقي، مما يستفاد منه في الرد علىٰ الشبهات، ويفتح باب الإسهام في تأصيل هذا العلم بمزيد من الدراسات، وفيما يأتي بيان أهمها مع بيان الموازنة بينها وبين هذا البحث:

١- الانتصار للقرآن الكريم: دراسة تأصيلية، لسهاد أحمد قنبر، وهو بحث منشور في مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد (٤١)،



وقد عرضت الباحثة فيه أهمية علم الانتصار ومشروعيته، وأهمية التأصيل لعلم الانتصار، وطرقه المنهجية المقترحة، كما عرضت العلاقة بين علم الانتصار وعلم الكلام ومسوغات الفصل بينهما.

٢- الانتصار للقرآن إسهام في التقعيد، لأحمد بوعود، وهو بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، كرسي القرآن الكريم وعلومه، المجلد (١)، وقد عرض فيه الباحث مشروعية علم الانتصار ومجالاته، ومنهجه وأدواته.

ويظهر الفرق بين هذا البحث والدراستين السابقتين في عنايتهما بالجانب النظري للتأصيل لهذا العلم، وبيان مجالاته، ومناهجه، ولم تتعرض الدراستان لذكر القواعد التطبيقية للرد علىٰ الشبهات كما هو موضوع هذا البحث، كما تناولت الدراستان علم الانتصار بعموم مجالاته، واختص هذا البحث ببيان قواعده من خلال القرآن الكريم.

٣- منهج القرآن الكريم في التعامل مع الشبهات، لسعيد عمر بن دحباج، وهو بحث منشور في مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، المجلد (٩)، العدد (٥)، وقد عرض الباحث نماذجًا من الشبهات التي تناولها القرآن، وعددًا من معالم وأصول منهج القرآن في التعامل مع الشبهات، ويبرز الفرق بين هذا البحث والدراسة المذكورة من جهة الاختلاف في قواعد الرد علىٰ الشبهات نوعًا وموضوعًا، ومن جهة الاختلاف في موضع الاستدلال عليها من القرآن الكريم، مما يتيح فرصة التكامل بين الدراستين في تأصيل هذا العلم بمجموع هذه القواعد والأصول.

٤- المقولات التي أبطلها القرآن ومنهجه في إبطالها (دراسة تأصيلية موضوعية)،



لوليد العمري، وهي رسالة علمية مطبوعة تقدم بها الباحث لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الملك سعود، وقد عرض الباحث في الباب الأول منهج القرآن العظيم في إيراد المقولات الباطلة وإبطالها، وأورد في الباب الثاني موضوعات المقولات التي أبطلها القرآن العظيم، ويظهر الفرق بين هذا البحث والدراسة المذكورة في بابها الأول - المتصل بموضوع هذا البحث - من جهة إبراز الدراسة المذكورة لمنهج القرآن من خلال بيان أساليبه في العرض: كالتكرار، والقصر، والعموم والخصوص، وغيرها، وأساليبه في الرد وهي أربعة: أسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالحسنىٰ، وبغير الحسنىٰ، أما هذا البحث فهو في بيان القواعد لا الأساليب، والنصّ علىٰ ألفاظ القواعد من خلال الوقوف علىٰ أقوال المفسرين فيها.

٥- منهج القرآن الكريم في إبطال حجج المخالفين لدعوة الرسل عليهم السلام، لعبدالله القرني، وهي رسالة علمية مطبوعة تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرىٰ، ويظهر الفرق بين هذا البحث والدراسة المذكورة من جهة عناية الدراسة بعرض منهج القرآن في إبطال الحجج من خلال عرض عدد من الركائز في ذلك، أما هذا البحث فهو في ذكر قواعد الرد لا الركائز العامة للمنهج، وأما ما يتعلق بإيراد الدراسة المذكورة لعدد من الخصائص للمنهج القرآني، فيظهر الفرق بينها وبين هذا البحث من جهة التنوع في ذكر الخصائص، عددًا وموضوعًا، وتنوع مواضع الاستدلال عليها.

*** مشكلة البحث:**

يمكن للبحث أن يجيب عن الأسئلة الآتية:

- ما هو منهج القرآن الكريم في الرد علىٰ الشبهات؟



- هل للمنهج القرآني قواعد ثابتة في عرض الشبهة والجواب عنها؟
- ما هو دور المفسرين في بيان قواعد الرد علىٰ الشبهات من منظور قرآني؟
- ما هي خصائص المنهج القرآني في الرد علىٰ الشبهات؟

*** منهج البحث:**

سلكتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي التحليلي، متبعة في ذلك الخطوات الآتية:

١- استقراء الآيات الواردة في الشبهات، وأقوال أئمة التفسير الذين اعتنوا ببيانها، وبالوقوف علىٰ أسلوب القرآن في الرد عليها.

٢- استنباط القاعدة التي ترتبط بطريقة القرآن في العرض والنقد، وصياغتها علىٰ وجه مستقل.

٣- التقديم ببيان القاعدة، وذكر أهميتها في الرد علىٰ الشبهات، وذلك علىٰ وجه الاختصار.

٤- ذكر الأمثلة التطبيقية للقاعدة بذكر مثال أو أكثر من القرآن الكريم، وفق ما يحتاجه المقام، مع بيان موضع الشاهد منه، ونقل كلام المفسرين الذين ورد في أقوالهم ما يدل علىٰ القاعدة صراحة، أو يشير إليها.

٥- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة، ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.

٦- عزو الأحاديث إلىٰ مصادرها، وإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ بذلك.

٧- عزو الآثار الواردة إلىٰ مصادرها الأصيلة.

٨- وضع الآثار بين علامتي تنصيص هكذا «...»، وأقوال العلماء بين هلالين (...).

٩- العزو إلىٰ المصدر مباشرة في حال النقل منه بالنص، وتصدير ذلك بكلمة (يُنظر) عند التصرّف فيه، أو النقل بالمعنىٰ.

١٠- إتباع ذكر العَلَم في البحث بذكر تاريخ وفاته بين هلالين، والرمز إلىٰ تاريخ وفاته بحرف التاء، وإلىٰ السنة الهجرية بحرف الهاء (ت...هـ).

١١- بيان معاني الكلمات الغريبة الواردة في النص.

*** خطة البحث:**

اشتمل البحث علىٰ مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وثبت بأهم المصادر والمراجع.

- **المقدمة:** وتشتمل علىٰ: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ومشكلته، وخطته.
- **التمهيد:** وفيه:
  - تعريف المنهج لغة واصطلاحًا.
  - تعريف الشبهات لغة واصطلاحًا.
  - تعريف القواعد لغة واصطلاحًا.
- **المبحث الأول:** خصائص المنهج القرآني في التعامل مع الشبهات.
- **المبحث الثاني:** قواعد المنهج القرآني في الرد علىٰ الشبهات.
- **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- **فهرس المصادر والمراجع.**



التمهيد

* تعريف المنهج لغة واصطلاحًا:

المنهج لغة:

المنهج من النَّهْج، يقال: قد نَهَج الأمر وأَنْهج: إذا وضح، ونهجتُ لك الطريق وأَنهجْتُه، فهو مَنْهُوج ومُنهَج، والمِنهاج: الطريق الواضح[1]، والنَّهْجُ: الطريق المستقيم، وأَنهَجَ الطريق: وضح واسْتَبَان وصار نَهْجًا واضحًا بَيِّنًا[2].

المنهج اصطلاحًا:

هو بمعنىٰ المنهاج وهو الطريق الواضح[3]، وقيل: هو وسيلة محددة توصل إلىٰ غاية معينة، والمنهج العلمي: خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية، بغية الوصول إلىٰ كشف حقيقة أو البرهنة عليها[4]، وعليه يمكن القول بأن المراد بالمنهج القرآني في هذا البحث هو: طريقة القرآن الكريم.

* تعريف الشبهات لغة واصطلاحًا:

الشبهات لغة:

جمع شبهة، وترجع الشبهة إلىٰ الأصل الثلاثي (شَبَه) الذي يدل علىٰ «تشابه

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٦/ ٤١)، مادة (نهج).

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (٢/ ٣٨٣)، مادة (نهج).

(٣) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحموي (٢/ ٦٢٧)؛ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفىٰ وآخرون) (٢/ ٩٥٧).

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار (٣/ ٢٢٩١).



الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا»[1]، والشِّبْه والشَّبَه والشَّبيه: المِثْل، وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه[2].

والشبهة: هو أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه، عينًا كان أو معنىٰ[3]، وقيل: هي الالتباس[4]، والمشتبهات من الأمور: المشكلات[5].

الشبهات اصطلاحًا:

تعددت الأقوال في تعريف الشبهة، غير أنها تعود في مجملها إلىٰ معنىٰ الالتباس، فقيل: هي ما لم يتيقن كونه حرامًا أو حلالًا[6]، وقيل: الشبهة هي ما التبس أمره فلا يُدرىٰ أحلال هو أم حرام، وحق هو أم باطل[7]، وقال بعضهم: هي مشابهة الحق للباطل، والباطل للحق، من وجه إذا حُقّق النظر فيه ذهب[8]، وفي علم الانتصار للقرآن الكريم - وهو موضوع هذا البحث - فقد ذكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) صلة الشبهة بهذا المعنىٰ فقال: (وقولهم: اشتبه علي الأمر إذا أُلبس بغيره، ومنه سُمّيت الشبهة المصوّرة للباطل بصورة الحق شبهة)[9]، وعليه يمكن تعريف الشبهة في هذا البحث

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٢٤٣)، مادة (شبه).
(٢) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٥٠٣)، مادة (شبه).
(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص٤٤٣)، مادة (شبه).
(٤) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٦/ ٢٢٣٦)، مادة (شبه).
(٥) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٥٠٤)، مادة (شبه).
(٦) ينظر: التعريفات، الجرجاني (ص١٢٤).
(٧) ينظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٧١).
(٨) ينظر: التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، المناوي (ص١-٢).
(٩) ينظر: الانتصار للقرآن، الباقلاني (٢/ ٧٨١).



بأنها: كل قولٍ مُلبسٍ يُصوّر الباطل بصورة الحق، ويُقصد به الطعن في القرآن الكريم.

*** تعريف القواعد لغة واصطلاحًا:**

القواعد لغة:

الأساس، واحدتها قاعدة(١)، وقواعد كل شيء بحسبه، فقواعد البيت: أساسه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ ﴾ [البقرة:١٢٧]، وقواعد الهودج: خشبات أربع معترضات في أسفله قد رُكّب الهودج فيهن، وقواعد السحاب أصولها المعترضة في آفاق السماء شُبّهت بقواعد البناء(٢).

القواعد اصطلاحًا:

عرّف العلماء القاعدة بتعريفات متقاربة، يجمعها القول بأنها: قضية كلية منطبقة علىٰ جميع جزئياتها(٣)، وهي الأساس والأصل لما فوقها، وتجمع فروعًا من أبواب شتىٰ(٤)، ويمكن القول بأن المراد بالقواعد في هذا البحث: الأصول الكلية التي قرّرها القرآن الكريم في عرض الشبهات والرد عليها.

* * *

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١/ ١٣٧)، مادة (قعد).

(٢) ينظر: العين، الخليل بن أحمد (١/ ١٤٣)؛ مختار الصحاح، الرازي (ص٢٥٧)؛ لسان العرب (٣/ ٣٦١)، كلها تحت مادة (قعد).

(٣) ينظر: التعريفات (ص١٧١)؛ التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص٢٦٦)؛ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي (ص٧٢٨)؛ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي (١/ ٢١٣).

(٤) ينظر: الكليات (ص٧٢٨).



المبحث الأول
خصائص المنهج القرآني في التعامل مع الشبهات

اتسم المنهج القرآني في تعامله مع الشبهات بعدد من الخصائص، وهي سماتٌ خاصة تميّزه عن غيره من المناهج في الرد على الشبهات، ومن أبرزها:

أولًا: شرف المصدر:

تميّز المنهج القرآني في الرد على الشبهات باستمداده من القرآن الكريم الذي «اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم، ودينهم، ومعاشهم، ومعادهم»(١)، قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:٣٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩]، يقول القسطلاني (ت ٩٢٣هـ): (إن القرآن العظيم ينبوع العلوم ومنشؤها، ومعدن المعارف ومبدؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه، وأصل كل علم ورأسه)(٢)، فهو بذلك أشرف المناهج لتعلقه بأشرف الكتب المنزلة، وقد اكتسب خصوصية ليست لغيره.

ثانيًا: الشمول:

جاء المنهج القرآني في رده للشبهات في صورة عامة شاملة لمختلف الشبه التي أثارها الطاعنون في زمن التنزيل، أو ما قابلت به الأمم السابقة رسلها مما اتصل بهذه

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ٥٩٤).

(٢) لطائف الإشارات لفنون القراءات، القسطلاني (١/ ٣).



الشبهات بشكل أو بآخر، ومنها: الطعن في الوحي، ومثاله قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:٩١]، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ [الفرقان:٤]، وقوله: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٤-٢٥]، أو الطعن في نزول القرآن، ومنه نزوله مفرقًا: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [الفرقان:٣٢]، ونزوله عربيًّا: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ [فصلت:٤٤]، أو الطعن في النبي ﷺ، ومنه قوله: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الحجر:٦-٧]، وقوله: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص:٤]، وقوله: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الحاقة:٤١-٤٢]، أو الطعن فيما جاء به القرآن، ومنه التوحيد، قال تعالىٰ: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [ص:٥-٧]، وأمر البعث، قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سبأ:٧]، وقال: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٨٢-٨٣]، والأمثلة في ذلك كثيرة، وهي تمثل أصلًا عامًّا يُرجع إليه عند الردّ علىٰ الشبهات.

ثالثًا: الوضوح:

اتسم المنهج القرآني في دفع الشبهات ومحاجة الخصوم بالوضوح، والسهولة واليسر، مع الدقة في العرض والرد، قال السيوطي (ت٩١١هـ): (قال العلماء: قد



اشتمل القرآن العظيم علىٰ جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يُبنىٰ من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده علىٰ عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين؛ لأمرين: أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم:٤]، والثاني: أن المائل إلىٰ طريق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يُفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلىٰ الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن ملغزًا، فأخرج تعالىٰ مخاطباته في محاجّة خلقه في أجلىٰ صورة؛ ليفهم العامة من جليلها ما يقنعهم، وتلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يربىٰ علىٰ ما أدركه فهم الخطباء)[1].

رابعًا: البلاغة:

تميز المنهج القرآني في عرض الشبهة وردها بالبلاغة في أكمل وجوهها، ومن المعلوم أن البلاغة تتأكد عند تكرر الكلام، وقد عرض القرآن شبهات متكررة لم يفتر فيها حسن النظم، وجزالة اللفظ، وتمام المعنىٰ، وهذا شأن القرآن الكريم، فإنه «كلما تكرّر حلا وعلا، لا يخلق عن كثرة الرد»[2]، ومن الشواهد علىٰ ذلك، ما جاء في قوله تعالىٰ في بيان شبهة قوم نوح: ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ﴾ [الأعراف:٦٣]، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): (ووصفُ رجل بأنه منهم، أي من جنسهم البشري فضح لشبهتهم، ومع ما في هذا الكلام من فضح شبهتهم فيه - أيضًا -

(١) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٦٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٠٠).



ردّ لها بأنهم أحقاء بأن يكون ما جعلوه موجب استبعاد واستحالة هو موجب القبول والإيمان، إذ الشأن أن ينظروا في الذكر الذي جاءهم من ربهم، وأن لا يسرعوا إلىٰ تكذيب الجائي به، وأن يعلموا أن كون المذكِّر رجلًا منهم أقرب إلىٰ التعقل من كون مذكِّرهم من جنس آخر من ملك أو جني، فكان هذا الكلام من جوامع الكلم في إبطال دعوىٰ الخصم، والاستدلال لصدق دعوىٰ المجادل، وهو يتنزل منزلة سند المنع في علم الجدل)(١)، وقد عرض القرآن هذه الشبهة في موضع آخر في بيان دعوىٰ المشركين، وكانت صورة أخرىٰ لبلاغة القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴾ [ق:٢-٣]، قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): (عبّر عن الرسول ﷺ بوصف منذر؛...للإيماء إلىٰ أن عجبهم كان ناشئًا عن صفتين في الرسول ﷺ، إحداهما: أنه مخبر بعذاب يكون بعد الموت...والثانية: كونه من نوع البشر، وفرّع علىٰ التكذيب الحاصل في نفوسهم ذكر مقالتهم التي تفصح عنه وعن شبهتهم الباطلة بقوله: فقال الكافرون: ﴿ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾ ...الآية، وخص هذا بالعناية بالذكر؛ لأنه أدخل عندهم في الاستبعاد، وأحق بالإنكار، فهو الذي غرّهم فأحالوا أن يرسل الله إليهم أحد من نوعهم، ولذلك وصف الرسول ﷺ ابتداء بصفة منذر قبل وصفه بأنه منهم؛ ليدل علىٰ أن ما أنذرهم به هو الباعث الأصلي لتكذيبهم إياه، وأن كونه منهم إنما قوىٰ الاستبعاد والتعجب، ثم إن ذلك يتخلص منه إلىٰ إبطال حجتهم وإثبات البعث...فقد حصل في ضمن هاتين الفاصلتين خصوصيات كثيرة من البلاغة: منها إيجاز الحذف، ومنها ما أفاده الإضراب من

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٨/ ١٩٦).

الاهتمام بأمر البعث، ومنها الإيجاز البديع الحاصل من التعبير بـ﴿ مُنذِرٌ ﴾، ومنها إقحام وصفه بأنه منهم؛ لأن لذلك مدخلًا في تعجبهم، ومنها الإظهار في مقام الإضمار علىٰ خلاف مقتضىٰ الظاهر، ومنها الإجمال المعقب بالتفصيل في قوله: ﴿ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا ﴾)[1].

خامسًا: الثبات:

إن المنهج القرآني في الجواب عن الشبهات صالح لكل زمان ومكان، وهو بذلك منهج ثابت يُستند إليه لا سيما عند تجدد الشبهة، وهو الأمر الذي دل عليه البيان القرآني في عدد من الشبهات، منها: شبهة ادّعاء نزول الوحي علىٰ غير الأنبياء عليهم السلام في زمن التنزيل ومن بعده، فقد قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام:٩٣]، قال الطبري (ت٣١٠هـ): (ولا تمانُع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: «إني قد قلت مثل ما قال محمد»، وأنه ارتدّ عن إسلامه ولحق بالمشركين، فكان لا شك بذلك من قيله مفتريًا كذبًا، وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسيّ الكذابين ادّعيا علىٰ الله كذبًا أنه بعثهما نبيين، وقال كل واحد منهما: «إنّ الله أوحىٰ إليه»، وهو كاذب في قيله، فإذ كان ذلك كذلك، فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقًا علىٰ الله كذبًا، وقائلًا في ذلك الزمان وفي غيره: «أوحىٰ الله إلي»، وهو في قيله كاذب، لم يوح الله إليه شيئًا)[2]، وكذلك شبهة وصف القرآن بالإفك، فهي من الشبه المتجددة في زمن

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٧٩).

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن (١١/ ٥٣٦).

التنزيل، ومن بعده، وإلىٰ ذلك أشار تعالىٰ بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾ [الأحقاف:١١]، فمعنىٰ: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ سيدومون علىٰ مقالتهم هذه في المستقبل، فالاستقبال زمن للدوام علىٰ هذه المقالة وتكريرها[١]، ومن ذلك - أيضًا - شبهة اعتقاد شفاعة الآلهة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر:٣]، قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): (هذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردّها والنهي عنها، والدعوة إلىٰ إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهىٰ عنه)[٢].

***

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٨٥).



المبحث الثاني
قواعد المنهج القرآني في الرد على الشبهات

*** القاعدة الأولى: نسبة الشبهة لأصحابها.**

تسهم هذه القاعدة في بناء الرد الواضح على الشبهة المثارة، وإثبات الحجة على القائلين بها، ومن وافقهم، وتعيين أصحابها فلا تُنسب الشبهة لغيرهم.

وقد اعتنى القرآن الكريم بنسبة الشبهة لأصحابها عند عرض الشبهات، كالمشركين، وأهل الكتاب، والأقوام السابقة كقوم عاد، وقوم نوح، وغيرهم، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦]، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ [سبأ:٧-٨]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف:٦٥-٦٦]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝٢٦ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود:٢٥-٢٧]، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا

تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [النمل:٦٧-٦٨].

وقد سار المفسرون علىٰ تحقيق هذه القاعدة ببيان القائل بالشبهة في عدد من الشبهات التي ورد فيها التعيين، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ [ص:٥-٦]، قال الطبري (ت٣١٠هـ): (ذُكر أن قائل ذلك كان عقبة بن أبي معيط)[١]، وقال السيوطي (ت٩١١هـ): (عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾، قال: «أبو جهل»)[٢]، ومنه - أيضًا - قول مقاتل (ت١٥٠هـ) في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة:٣٨-٤٢]: (ذلك أن الوليد بن المغيرة قال: إن محمدًا ساحر، فقال أبو جهل بن هشام: بل هو مجنون، فقال عقبة بن أبي معيط: بل هو شاعر، وقال النضر: كاهن...فبرّأه الله من قولهم)[٣].

❋ ❋ ❋

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن (٢١/ ١٥١).

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/ ١٤٦).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٦/ ٨٥)؛ وينظر: تفسير القرآن، السمعاني (٦/ ٤٢).

*** القاعدة الثانية: ذكر أدلـــة الشبهة.**

تعدّ هذه القاعدة إحدىٰ القواعد الرئيسة في الرد علىٰ الشبهات التي تقوم علىٰ دليل؛ فإن إيراد الدليل أول خطوات نقضه، وبإبطاله تبطل الشبهة القائمة عليه.

وقد اعتنىٰ القرآن الكريم ببيان أدلة الشبهة عند الحاجة لذلك، كشبهة إنكار البعث التي يستدل لها المنكرون بفناء أجسادهم، قال تعالىٰ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [يس:٧٨]، يقول الرازي (ت٦٠٦هـ): (منهم - يعني منكري البعث - من ذكر شبهة وإن كانت في آخرها تعود إلىٰ مجرد الاستبعاد، وهي علىٰ وجهين أحدهما: أنه بعد العدم لم يبق شيئًا فكيف يصح علىٰ العدم الحكم بالوجود، وأجاب عن هذه الشبهة بقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ ﴾ [يس:٧٩] يعني كما خلق الإنسان ولم يكن شيئًا مذكورًا كذلك يعيده وإن لم يبق شيئًا مذكورًا، وثانيها: أن من تفرقت أجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضه في أبدان السباع، وبعضه في جدران الرباع، كيف يجمع؟...فقال تعالىٰ في إبطال هذه الشبهة: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩]...يجمع الأجزاء المتفرقة في البقاع، المبددة في الأصقاع، بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة)(١)، وقد أشار تعالىٰ إلىٰ هذه الشبهة ودليلها في مواضع كثيرة، منها قوله: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٢]، وقوله: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء:٤٩]، وقوله: ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾ [النازعات:١٠-١١].

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٦/ ٣٠٨-٣٠٩).



ومن أمثلة ذلك – أيضًا – شبهة إنكار الرسالة السماوية احتجاجًا ببشرية الرسل، فقد ذكر تعالىٰ دليلها بقوله: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٦٣]، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): (أحالوا أن يكون رسولًا، مستدلين بأنه بشر مثلهم)[١]، ومثل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٢٤]، وقوله: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق:٢]، وقد أجاب تعالىٰ عن هذه الشبهة بنقض دليلها فقال: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:٩٥]، فإنما يُبعث الملك إلىٰ الملائكة، والبشر إلىٰ البشر[٢]، وهذا من لطفه تعالىٰ ورحمته بعباده؛ ليفقهوا عن رسولهم ويفهموا منه؛ لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته[٣].

ومن الأمثلة كذلك شبهة تكذيب الرسل بالنظر لحال أتباعهم، قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [الأحقاف:١١]، فقد استدلوا علىٰ أن لا خير في الإسلام بأن الذين ابتدروا الأخذ به ضعفاء القوم، وهم يعدونهم منحطين عنهم[٤]، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ

---

(١) التحرير والتنوير (٨/ ١٩٥).

(٢) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي (٢/ ٣٢٩).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٢١)؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (١/ ٤٧٢).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ٢١).



عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴾ [مريم:٧٣ -٧٤]، وقد رد تعالىٰ عليهم شبهتهم بأنه كم من أمة من المكذبين قد أهلكهم الله بكفرهم كانوا أحسن من هؤلاء أموالًا، وأمتعة، ومناظر، وأشكالًا[1]، فانتفت شبهتهم، وسقط استدلالهم المبني علىٰ النظر إلىٰ الحال الدنيوية، والإعجاب بما لديهم.

* * *

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٥٧).

*** القاعدة الثالثة: مراعاة المناسبة بين الشبهة وجوابها.**

إن اختلاف الشبهات في متعلّقها وطبيعتها، يقتضي اختيار الجواب الملائم لها، وتمثل الردود القرآنية في تنوعها ومناسبتها للشبه المثارة قاعدة شاملة تتجلىٰ فيها مراعاة الجواب لنوع الشبهة، وهو الأمر الذي ينبغي أن يستند عليه كل من يتصدىٰ للشبهات، ومن أبرز أوجه الرد علىٰ الشبهات التي ظهرت فيها المراعاة بين الشبهة وجوابها:

١- **التحدّي**: ومثاله في شبهة القول بافتراء القرآن قوله تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [يونس:٣٨]، وقد وقع التحدّي في الجواب علىٰ مقامات، وهو ملائم في جواب هذه الشبهة التي تعدّ من الشبه البارزة، ويمتد القول بها علىٰ مختلف العصور، يقول ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): (هذا هو المقام الثالث في التحدي، فإنه تعالىٰ تحداهم ودعاهم إن كانوا صادقين في دعواهم أنه من عند محمد، فلتعارضوه بنظير ما جاء به وحده، واستعينوا بمن شئتم، وأخبر أنهم لا يقدرون علىٰ ذلك، ولا سبيل لهم إليه، فقال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]، ثم تقاصر معهم إلىٰ عشر سور منه، فقال في أول سورة هود: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [هود:١٣]، ثم تنازل إلىٰ سورة، فقال في هذه السورة: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [يونس:٣٨]، وكذا في سورة البقرة - وهي مدنية - تحداهم بسورة منه، وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك أبدًا، فقال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ [البقرة:٢٤] ...الآية، هذا وقد كانت الفصاحة من

سجاياهم، وأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهىٰ في هذا الباب، ولكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحد به، ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام وحلاوته، وجزالته وطلاوته، وإفادته وبراعته)(١).

٢- القول بالموجَب(٢)، وهو ردّ دعوىٰ الخصم من فحوىٰ كلامه(٣): ومن الأمثلة عليه قوله تعالىٰ في بيان شبهة بشرية الرسل: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم:١٠]، فقد كان جوابها: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم:١١]، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): (قول الرسل: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ جواب بطريق القول بالموجب في علم آداب البحث، وهو: تسليم الدليل مع بقاء النزاع ببيان محل الاستدلال غير تام الإنتاج، وفيه إطماع في الموافقة، ثم كرّ علىٰ استدلالهم المقصود بالإبطال بتبيين خطئهم، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون:٨]، وهذا النوع من القوادح في علم الجدل شديد الوقع علىٰ المناظر، فليس قول الرسل: ﴿ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ تقريرًا للدليل، ولكنه تمهيد لبيان غلط المستَدِلّ في الاستنتاج من دليله، ومحل البيان هو الاستدراك في قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٦٩).

(٢) ينظر: استخراج الجدال من القرآن الكريم، ابن الحنبلي (ص١١٥-١١٦).

(٣) نقله السيوطي عن ابن أبي الإصبع، ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٦٤).



﴿يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ والمعنىٰ: أن المماثلة في البشرية لا تقتضي المماثلة في زائد عليها، فالبشر كلهم عباد الله، والله يمن علىٰ من يشاء من عباده بنعم لم يعطها غيرهم، فالاستدراك رفع لما توهموه من كون المماثلة في البشرية مقتضىٰ الاستواء في كل خصلة)(١)، وتبرز أهمية هذا الوجه في مناقشة كثير من شبهات المستشرقين، والفرق الضالة، حين يستندون إلىٰ آيات قرآنية، أو أدلة عقلية صريحة لإثبات شبهتهم باستدلال باطل، فيكون التسليم بصحة الدليل تمهيدًا لبيان فساد الاستدلال به، ولا يخفىٰ أن فيه نوعًا من مجاراة الخصم لا للتسليم بحجة شبهته بل لإلزامه، وقد سمّاه السيوطي (ت٩١١هـ) بذلك ضمن الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل، فقال: (ومنها: مجاراة الخصم ليعثر، بأن يسلِّم بعضَ مقدماته حيث يراد تبكيته وإلزامه، كقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم:١٠-١١] ...الآية، فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين علىٰ البشرية فكأنهم سلّموا انتفاء الرسالة عنهم، وليس مرادًا، بل هو من مجاراة الخصم ليعثر، فكأنهم قالوا: ما ادَّعيتم من كوننا بشرًا حق لا ننكره، ولكن هذا لا ينافي أن يمن الله تعالىٰ علينا بالرسالة)(٢)، ومن أمثلته - أيضًا - قوله تعالىٰ في بيان شبهة المشركين وأهل الكتاب وهي الوصية بالتمسك بملتهم: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:١]، ففي الجواب عليها يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]، أي: إذا سلّمنا أنكم موصون

(١) التحرير والتنوير (١٣/ ٢٠١).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٦٦).



بالتمسك بما أنتم عليه لا تنفكون عنه حتىٰ تأتيكم البينة، فليس في الإسلام ما ينافي ما جاء به كتابكم؛ لأن كتابكم يأمر بما أمر به القرآن، وهو عبادة الله وحده دون إشراك، وتلك هي الحنيفية وهي دين إبراهيم الذي أُخذ عليهم العهد به، فذلك دين الإسلام وذلك ما أُمرتم به في دينكم[1].

٣- إثبات نقيض الدعوىٰ: ومن الأمثلة علىٰ ذلك في شبهة إنكار نزول الوحي علىٰ البشر قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾ [الأنعام:٩١]، أي: قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله في جواب سَلْبِهِم العام بإثبات قضية جزئية موجبة، بديهية التسليم[2]: ﴿مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، يعني: التوراة التي قد علمتم - وكل أحد - أن الله قد أنزلها علىٰ موسىٰ بن عمران؛ ليُستضاء بها في كشف المشكلات، ويهتدي بها من ظلم الشبهات[3].

٤- إلزام صاحب الدعوىٰ بلازم ما يقرّ بصحته: ومن الأمثلة علىٰ ذلك أن الله تعالىٰ بيّن شبهة المكذبين بالبعث فقال: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٨٢-٨٣]، ثم إنه تعالىٰ ردّ هذه الشبهة بقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/ ٢٠١).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٠٠)؛ محاسن التأويل، القاسمي (٤/ ٤٢٦)؛ التحرير والتنوير (٧/ ٣٦٣).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٠٠).

ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]، فأمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ بتوقيفهم علىٰ هذه الأشياء التي لا يمكنهم إلا الإقرار بها، ويلزم من الإقرار بها أن يؤمنوا بباريها، ويذعنوا لشرعه، ورسالة رسوله(١).

٥- الدعوة إلىٰ النظر في آيات الله تعالىٰ: وقد جاء هذا الجواب ردًّا علىٰ شبهة وصف النبي ﷺ بالسحر، والجنون، وغيرها من الأوصاف، قال تعالىٰ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق:٥- ٨]، قال الزجاج (ت٣١١هـ): (مريج: مختلف ملتبس عليهم، مرة يقولون للنبي ﷺ شاعر، ومرة ساحر، ومرة مُعَلَّم)(٢)، وشبهة الاختلاف في أمر النبي وتكذيب ما جاء به كان جوابها الدعوة إلىٰ النظر وإعمال العقل، فدعاهم سبحانه إلىٰ النظر في آياته الأفقية كي يعتبروا، ويستدلوا بها علىٰ ما جُعلت أدلة عليه، فإن ما فيها من الخلق الباهر، والشدة والقوة، دليل علىٰ كمال قدرة الله تعالىٰ، وما فيها من الحسن والإتقان دليل علىٰ أن الله أحكم الحاكمين، وما فيها من المنافع والمصالح للعباد دليل علىٰ رحمة الله التي وسعت كل شيء(٣)، وقد ناسب هذا الجواب هذه الشبهة الصادرة عن تكذيب محض دون دليل، وكانت الدعوة إلىٰ التأني والنظر في خلق الله في مقابل مبادرتهم بالتكذيب دون تفكر ولا تأمل، وهو الذي يدل

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٤/ ١٥٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٥/ ٤٢).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص٨٠٤).



عليه قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ فإن (لمّا) حرف توقيت دال علىٰ ربط حصول جوابها بوقت حصول شرطها، فهي مؤذنة بمبادرة حصول الجواب عند حصول الشرط، والمعنىٰ: أنهم بادروا بالتكذيب دون تأمل ولا نظر فيما حواه من الحق بل كذّبوا به من أول وهلة[1].

٦- **اقتران جواب الشبهة بذكر سوء العاقبة:** وذلك إما بالتقديم للجواب أو التعقيب عليه بالوعيد الشديد، وفي هذا الاقتران إمعان في ردع المفترين عن افترائهم، وبيان لعاقبة القول به، وقد جاء التقديم للجواب بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم:٧٣-٧٥][2]، فجملة: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ معترضة بين حكاية قولهم وبين تلقين النبيء ﷺ ما يجيبهم به عن قولهم، وموقعها التهديد، وما بعدها هو الجواب[3].

وأما التعقيب علىٰ الجواب بالتهديد فمثاله قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]، فالشبهة الواردة هي ما كان يقوله المشركون من الكذب أن محمدًا إنما يعلمه بشر، ويشيرون إلىٰ رجل أعجمي كان بين أظهرهم[4]، وجوابها: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٨٤).

(٢) تقدم بيان الشبهة وجوابها، ينظر القاعدة الثانية.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ١٥٤).

(٤) ينظر: معالم التنزيل، البغوي (٣/ ٩٦)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٠٣).



﴿يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾، والمعنىٰ: كيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة من رجل أعجمي؟ لا يقول هذا من له أدنىٰ مسكة من العقل[1]، ثم عقّب تعالىٰ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١٠٤]، وهذا تهديد لهم ووعيد علىٰ ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالىٰ، ونسبة رسول الله ﷺ إلىٰ الافتراء، بعد إماطة شبهتهم ورد طعنهم[2].

٧- **التوبيخ:** يظهر ذلك في الشبهات التي بان بطلانها، ولم ينته الظالمون عن القول بها في مختلف العصور، فكان التوبيخ تشنيعًا عليهم في مقالتهم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٢-٥٣]، فالشبهة المثارة باتهام الأنبياء بالسحر والجنون كان في جوابها قوله: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾، وقد صُدّر الجواب بالألف والألف للتوبيخ[3]، والتعجب[4] من تواطئهم علىٰ هذا القول علىٰ طريقة التشبيه البليغ، أي كأنهم أوصىٰ بعضهم بعضًا بأن يقولوه[5].

٨- **التقديم للشبهة بذكر الآيات والبراهين:** وفي ذلك توطئة بإقامة الحجة علىٰ

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٠٣).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٥/ ١٤٢)؛ محاسن التأويل (٦/ ٤١٠).

(٣) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ٢٨٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧/ ٥٤).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٢).

القائلين بالشبهة، كشبهة اتهام النبي ﷺ بتعلّمه من غيره، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٠٥]، ووجه ذلك يبينه الطبري (ت٣١٠هـ) بقوله: (كما صرفنا الآيات والعبر والحجج في هذه السورة لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأنداد، كذلك نصرف لهم الآيات في غيرها؛ كيلا يقولوا لرسولنا الذي أرسلناه إليهم: إنما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب، فينزجروا عن تكذيبهم إياه...ولنبين بتصريفنا الآيات الحقَّ لقوم يعلمون الحق إذا تبيَّن لهم فيتبعوه ويقبلوه، وليسوا كمن إذا بُيِّن لهم عَمُوا عنه فلم يعقلوه، وازدادوا من الفهم به بعدًا)(١).

٩- إبطال الشبهة بالقياس: وفيه قطع حجة المكذبين، وإبطال شبهتهم بما يقرّون بصحته ووقوعه، وقد جرىٰ ذلك في نقض شبهات النبوة، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فهذه الآية رد علىٰ كفار قريش الذين استبعدوا أن يكون البشر رسولًا من الله تعالىٰ(٢)، وكان إبطالها بقياس التمثيل بالرسل الأسبقين الذين لا تنكر قريش رسالتهم مثل نوح وإبراهيم عليهما السلام(٣)، ومثل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ﴾ [يوسف:١٠٩]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ﴾ [الفرقان:٢٠]، وقوله: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٩].

***

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن (١٢/ ٣١).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣٩٥)؛ الجامع لأحكام القرآن، (١٠/ ١٠٨).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٤/ ١٦٠).



*** القاعدة الرابعة: إبطال أصل الشبهة لإبطال ما ينبني عليها.**

تعدّ هذه القاعدة قاعدة مهمة في الرد علىٰ الشبهات، فإن كان للشبهة أصل واضح فلابد من العناية بإبطاله ليبطل ما يقوم عليه، وقد أصّل القرآن الكريم هذه القاعدة في مواضع عديدة، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨]، وقد دلّ علىٰ موضع الشبهة قوله: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾، قال قتادة (ت١١٧هـ): «إذن لقالوا: إنما هذا شيء تعلَّمه محمد ﷺ وكتبه»[1]، وهذه الشبهة – علىٰ اختلاف القائلين بها، واختلاف أزمانهم – قد أبطلها القرآن الكريم علىٰ نحو قاطع بإبطال أصلها وهو التعلّم، فأثبت أمية النبي ﷺ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ﴾ وفيها نفي حالتي التعلم وهما: التعلم بالقراءة، والتعلم بالكتابة؛ استقصاءً في تحقيق وصف الأمية، فإن الذي يحفظ كتابًا ولا يعرف الكتابة لا يُعد أميًّا كالعلماء العُمي، والذي يستطيع أن يكتب ما يُلقىٰ إليه ولا يحفظ علمًا لا يُعد أميًّا مثل النساخ، فبانتفاء التلاوة والخط تحقق وصف الأمية[2].

وقد أشار المفسرون إلىٰ أثر هذا الأصل في إبطال الشبهة، قال ابن عطية (ت٥٤٢هـ): (لو كان ممن يقرأ لارتاب المبطلون وكان لهم في ارتيابهم متعلق، وأما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده)[3]، وقال الرازي (ت٦٠٦هـ): (علىٰ ذلك التقدير يكون للمبطل وجه ارتياب، وعلىٰ ما هو عليه لا وجه لارتيابه فهو أدخل

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢١/ ١٠).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٢).



في الإبطال)[1]، وقال القرطبي (ت٦٧١هـ): (بكونه أميًّا في أمة أمية قامت الحجة، وأُفحم الجاحدون، وانحسمت الشبهة)[2].

ومن الأمثلة على هذه القاعدة - أيضًا - أن الله تعالى قد ردّ دعوى الكفار بأن النبي ﷺ شاعر، والقرآن شعر، بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ [يس:٦٩]، وكذلك كان ﷺ لا يقول الشعر، ولا يَزِنه، وكان إذا حاول إنشاد بيت قديم متمثّلًا كسر وزنه، وإنما كان يحرز المعنى فقط[3]، وفي نفي هذا الأصل تنتفي الشبهة القائمة عليه على وجه الحسم، يقول القرطبي (ت٦٧١هـ): (جعل الله جل وعز ذلك علمًا من أعلام نبيه عليه السلام لئلا تدخل الشبهة على من أُرسل إليه، فيظن أنه قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر)[4]، وقال أبو السعود (ت٩٨٢هـ): (جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له، كما جعلناه أميًّا لا يهتدي للخط؛ لتكون الحجة أثبت، والشبهة أدحض)[5]، وقال السعدي (ت١٣٧٦هـ): (إن الله تعالى حسم جميع الشبه التي يتعلق بها الضالون على رسوله، فحسم أن يكون يكتب أو يقرأ، وأخبر أنه ما علمه الشعر وما ينبغي له)[6].

***

(١) مفاتيح الغيب (٢٥/ ٦٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣٥٣).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٥٥).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ١٧٧).

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٦٩٨).



*** القاعدة الخامسة: الاستعانة بالأصول الثابتة لرد الشبهات.**

إن من أبرز القواعد القرآنية في الرد علىٰ الشبهات الاستعانة بالأصول الثابتة في القضايا الكلية التي قرّرها القرآن الكريم، وتعدّ مرجعًا عامًّا لإبطال الشبهات، وتسهم هذه القاعدة في كشف حقيقة الشبهات التي ظاهرها الاختلاف والكثرة بإرجاعها إلىٰ قضية واحدة، وإبطالها بالأصل الثابت الذي قرره القرآن، ومن أمثلة ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الشورىٰ:٣]، وقد قرّر هذا الأصل أمورًا منها:

١- أن محمدًا ﷺ ليس ببدع من الرسل، وأن طريقته طريقة من قبله، وأحواله تناسب أحوال من قبله من المرسلين؛ لأن الجميع حق وصدق(١).

٢- أن القرآن تنزيل من اتصف بالألوهية والعزة العظيمة والحكمة البالغة، وأن جميع العالم العلوي والسفلي ملكه وتحت تدبيره القدري والشرعي(٢).

٣- أن ما جاء به النبي ﷺ من الوحي إن هو إلا مثل ما جاءت به الرسل السابقون، فما إعراض قومه عنه إلا كإعراض الأمم السالفة عما جاءت به رسلهم، وقد حصل هذا المعنىٰ الثاني بغاية الإيجاز(٣).

وقد جاء بعد بيان هذا الأصل العام في فاتحة السورة ذكر شبهة من الشبهات المثارة حوله، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ ﴾ [الشورىٰ:٢٤]، يقول الرازي في بيان أثر هذا الأصل في رد هذه الشبهة: (اعلم أن الكلام في أول السورة

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٧٥٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٦-٢٧).

إنما ابتدئ في تقرير أن هذا الكتاب إنما حصل بوحي الله، وهو قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الشورىٰ:٣]، واتصل الكلام في تقرير هذا المعنىٰ، وتعلق البعض بالبعض حتىٰ وصل إلىٰ هاهنا، ثم حكىٰ هاهنا شبهة القوم وهي قولهم: إن هذا ليس وحيًا من الله تعالىٰ، فقال: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ﴾)[١]، وفي بيان أثر هذا الأصل - أيضًا - يقول ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): (لك أن تعتبر صيغة المضارع منظورًا فيها إلىٰ متعلقي الإيحاء وهو: ﴿إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾، فتجعل المضارع لاستحضار الصورة من الإيحاء إلىٰ الرسل حيث استبعد المشركون وقوعه فجعل كأنه مشاهد)[٢].

ومن الأمثلة علىٰ ذلك - أيضًا - قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]، وقد قرّر هذا الأصل أن القرآن لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تضاد ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حق من حق[٣].

وقد أشار المفسرون إلىٰ أثر هذا الأصل في دحض الشبه المتعلقة به، يقول ابن عطية (ت٥٤٢هـ): (إن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافًا في شيء من كتاب الله، فالواجب أن يتهم نظره ويسأل من هو أعلم منه)[٤]، وقال أبو حيان (ت٧٤٥هـ): (ما ذهب إليه بعض الزنادقة المعاندين من أن فيه أحكامًا مختلفة، وألفاظًا غير مؤتلفة،

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٥٩٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٨).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٦٤).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٨٣).

فقد أبطل مقالتهم علماء الإسلام، وما جاء في القرآن من اختلاف في تفسير وتأويل وقراءة، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وعام وخاص، ومطلق ومقيد، فليس هو المقصود في الآية، بل هذه من علوم القرآن الدالة علىٰ اتساع معانيه، وأحكام مبانيه)[1]، وقال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): (لو كان مفتعلًا مختلقًا كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا)[2].

***

(١) البحر المحيط، أبو حيان (٣/ ٧٢٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٦٤).



*** القاعدة السادسة: مراعاة أهمية الشبهة وأثرها.**

تتفاوت الشبهات المثارة في أهميتها، وأثرها، فمنها ما يحتاج إلىٰ تفصيل وتفنيد بأوجه متعددة، ومنها ما هو ضعيف لا دليل عليه، فيُكتفىٰ فيه بالتكذيب، وقد جاءت مراعاة أهمية الشبهة والنظر في أثرها ضمن أهم القواعد التي أصّلها القرآن، ويحتاج إليها كل من يتصدىٰ للرد علىٰ الشبهات؛ فإن إغفال الشبهات المهمة، أو تجاهل بعض أدلتها، أو التقصير في استيعاب الرد عليها، يجعل منها شبهات قائمة لا باطلة، وفيها حجة لأهل الباطل، كما أن التركيز علىٰ الشبهات الضعيفة التي لا تستند إلىٰ دليل فيه تقوية لها، وكثير منها يكفي فيه التجاهل، أو مجرد الحكم بالبطلان، لانعدام الدليل.

ومن أبرز الشواهد علىٰ ذلك شبهة افتراء القرآن، وهي من الشبهات التي تكرر ذكرها، ولأهمية هذه الشبهة فقد تنوّعت أوجه الرد عليها، بما يقطع علىٰ المبطلين كل حجة، ومن أوجه ذلك:

١- التحدّي بالإتيان بمثل هذا القرآن، وقد تقدم بيانه(١).

٢- التقديم للشبهة بالتشنيع علىٰ أصحابها، وذلك بقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس:٣٧-٣٨]، قال ابن عطية (ت٥٤٢هـ): (هذا نفي قول من قال من قريش إن محمدًا يفتري القرآن وينسبه إلىٰ الله تعالىٰ، وعبّر عن ذلك بهذه الألفاظ التي تتضمن تشنيع قولهم، وإعظام الأمر، كما قال

(١) ينظر: القاعدة الثالثة.



تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران:١٦١]، وكما قال حكاية عن عيسىٰ عليه السلام: ﴿ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة:١١٦]، ونحو هذا مما يعطي المعنىٰ والقرائن والبراهين استحالته)(١).

٣- قلب الشبهة علىٰ القائلين بها، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:١٠٥]، فهو رد لقولهم: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾ [النحل:١٠١]، وقلب للأمر عليهم، ببيان أنهم هم المفترون(٢)، وقد حصل به الرد بكلام أبلغ من كلامهم؛ لأنهم أتوا في قولهم: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾ بصيغة قصر للمخاطب علىٰ صفة الافتراء الدائمة، إذ الجملة الاسمية تقتضي الثبات والدوام، فرد عليهم بصيغة تقصرهم علىٰ الافتراء المتكرر المتجدد، إذ المضارع يدل علىٰ التجدد(٣).

٤- الإعراض عن قولهم، بعد تكرر الدلائل علىٰ بطلانه، ويشهد لذلك قوله تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [هود:٣٥]، فأمر النبي ﷺ أن يعرض عن مجادلتهم بالدليل؛ لأنهم ليسوا بأهل لذلك، إذ قد أُقيمت عليهم الحجة غير مرة فلم تغن فيهم شيئًا، فلذلك أُجيبوا بأنه لو فُرض ذلك لكانت تبعة افترائه علىٰ نفسه لا ينالهم منها شيء(٤)، وقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١١٩-١٢٠).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٥/ ١٤٢)؛ التحرير والتنوير (١٤/ ٢٩٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٤/ ٢٩٠).

(٤) المرجع السابق (١٢/ ٦٤).



ﵟٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُﵞ [الأحقاف:٨]، ويقرب من هذا الوجه قوله: ﵟوَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗاﵞ [الفرقان:٤]، فحكم تعالىٰ علىٰ قولهم بالظلم والزور، قال الرازي (ت٦٠٦هـ): (أن هذا القدر إنما يكفي جوابًا عن الشبهة المذكورة؛ لأنه قد علم كل عاقل أنه ﵇ تحداهم بالقرآن وهم النهاية في الفصاحة...فلو أمكنهم أن يعارضوه لفعلوا...ولمّا تقدمت هذه الدلالة مرات وكرات في القرآن وظهر بسببها سقوط هذا السؤال، ظهر أن إعادة هذا السؤال بعد تقدم هذه الأدلة الواضحة لا يكون إلا للتمادي في الجهل والعناد، فلذلك اكتفىٰ الله في الجواب بقوله: ﵟفَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗاﵞ)(١).

كما يشهد لعناية القرآن بالشبهات المهمة، إبطاله لشبهة رمي النبي ﷺ بتهمة الجنون، وهي من الشبهات التي تواطأت عليها الأمم المكذبة، ولا زالت، وقد نفاها الله تعالىٰ بأساليب متعددة، منها: التوبيخ، وقد سبقت الإشارة إليه(٢)، ومنها القسم في قوله تعالىٰ: ﵟنٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖﵞ [القلم:١-٢]، فالمقسم عليه بالقلم والكتابة في هذه السورة تنزيه نبيه ورسوله عما يقول فيه أعداؤه، والمطابقة ظاهرة بين هذا القسم والمقسم به، فإن ما سطر الكاتب بالقلم من أنواع العلوم التي يتلقاها البشر بعضهم عن بعض لا تصدر من مجنون ولا تصدر إلا من عقل وافر، فكيف يصدر ما جاء به الرسول من هذا الكتاب الذي هو في أعلىٰ درجات العلوم بل العلوم التي تضمنها ليس في قوىٰ البشر الإتيان بها(٣)، كما أن الله تعالىٰ قرن

(١) مفاتيح الغيب (٢٤/ ٤٣٣).

(٢) ينظر: القاعدة الثالثة.

(٣) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم (ص١٤١-١٤٢).

بهذه الدعوىٰ ما يكون كالدلالة القاطعة علىٰ نفيها؛ لأن قوله: ﴿ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ ﴾ يدل علىٰ أن نعم الله تعالىٰ كانت ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة، والعقل الكامل، والسيرة المرضية، والبراءة من كل عيب، وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينافي حصول الجنون(١)، ويؤيد ذلك قوله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٍ ﴾ [التكوير:٢٢]، فإن وصف «صاحب» كناية عن كونهم يعلمون حاله السابقة، وشأن الصاحب أن لا تخفىٰ دقائق أحواله علىٰ أصحابه(٢).

وفي مقابل ذلك، فإذا كانت الشبهة ظاهرة البطلان، فقد كذّبها القرآن دون جدال، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ ﴾ [النحل:١٠٣]، وقد كشف القرآن هذا اللبس بأوضح كشف إذ قال قولًا فصلًا دون طول جدال(٣): ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:١٠٣]، فاختلاف اللغة أظهر شاهد علىٰ أن الشبهة من الباطل المفضوح، فالقرآن عربي فصيح، ولا يمكن أن يتعلّمه النبي ﷺ من أعجمي اللسان.

* * *

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٠/ ٦٠٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ١٥٨).

(٣) المرجع السابق (١٤/ ٢٨٧).

❋ القاعدة السابعة: ضم نظائر الشبهة إليها.

اعتنىٰ القرآن الكريم بذكر نظائر الشبهة التي يوردها، وإن اختلف زمان القول بها، أو اختلف أصحابها، وهو بذلك يؤصل قاعدة مهمة من قواعد الرد علىٰ الشبهات؛ حيث إن ضم النظائر يخالف مقصود المبطلين بإظهار كثرتها، والاستعانة بالقديم منها لتقوية الجديد، كما أنه يُعدّ بعبارة أخرىٰ رصدًا لتاريخ الشبهة الذي يسهم في كشف جذورها في مقالات المتقدمين والمتأخرين، وتجلية أدلتها، ويعطي تصوّرًا شاملًا لجوانبها، ويبني الرد المتين عليها، ومن أبرز المواضع التي أورد القرآن فيها النظير:

١- الإخبار عن احتجاج المشركين علىٰ شركهم وتحريمهم ما أحل الله بالقضاء والقدر، وجَعْلهم مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم(١)، قال تعالىٰ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ ﴾ [الأنعام:١٤٨]، وقد بيّن تعالىٰ أن بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء، وهي حجة داحضة باطلة؛ لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه، ودمَّر عليهم، وأذاق المشركين من أليم الانتقام(٢)، والذي يدل علىٰ نظيرهم في ذلك قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام:١٤٨]، ويؤيده قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النحل:٣٥].

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٢٧٨).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٥٨).



٢- الاستهزاء بالنبي ﷺ، فقد أخبر عنه تعالىٰ بقوله: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾ [الحجر:٦]، ثم قال: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [الحجر:١٠-١١]، وفي هذا التنظير تحقيق لكفرهم؛ لأن كفر أولئك السالفين مقرر عند الأمم ومتحدث به بينهم، وفيه أيضًا تعريض بوعيد أمثالهم(١).

٣- طلب الآيات تعنُّتًا، قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ ﴾ [البقرة:١١٨]، والمعنىٰ: (فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص علىٰ نبوتك حتىٰ يتأكد الاعتقاد وتزول الشبهة، وأيضًا فإن كان تعالىٰ لا يفعل ذلك فلم لا يخصك بآية ومعجزة)(٢)، ولمّا ذكر تعالىٰ شبهة مشركي العرب، بيّن أنهم جروا فيها علىٰ الأصل المعهود من أمثالهم المشركين الذين سبقوهم بالضلال(٣): ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة:١١٨].

٤- الاحتجاج ببشرية النبي ﷺ علىٰ تكذيبه، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء:٩٤]، والظاهر حمل التعريف في ﴿ ٱلنَّاسَ ﴾ علىٰ الاستغراق، أي: ما منع جميع الناس أن يؤمنوا إلا ذلك التوهم الباطل؛ لأن الله حكىٰ مثل ذلك عن كل أمة كذبت رسولها، فقال حكاية عن قوم نوح: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٢٤]، ومثله عن قوم هود: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٤/ ٢٢).

(٢) مفاتيح الغيب (٤/ ٢٧).

(٣) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا (١/ ٣٦٢).



مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾ [المؤمنون:٣٣-٣٤]، وعن قوم صالح: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [الشعراء:١٥٤]، وعن قوم شعيب: ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [الشعراء:١٨٦]، وعن قوم فرعون: ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾ [المؤمنون:٤٧]، وقال في قوم محمد ﷺ: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾[ق:٢][1].

***

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢١٢).

*** القاعدة الثامنة: بيان علة القول بالشبهة.**

إن النظر إلىٰ منهج صاحب الشبهة يُظهر في كثير من الأحوال علة قوله بهذه الشبهة، ومعرفة هذه العلة تحقق الفهم الكامل للشبهة، وتفاصيلها، وتعطي التفسير لكثير من الشبهات التي لا تقوم علىٰ دليل، وهو ما بيّنه القرآن الكريم في مواضع عديدة تعدّ تأصيلًا لهذه القاعدة في الرد علىٰ الشبهات، ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالىٰ في بيان شبهة المكذبين بالبعث بعد فناء الأجساد: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ ﴾ [سبأ:٧-٨]، ثم قال: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴾، أي: «فمن أجل ذلك يقولون هذا المنكر»[1]، قال أبو السعود (ت٩٨٢هـ): (وضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة علىٰ أن علة ما ارتكبوه واجترؤوا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة، وما فيها من فنون العقاب، ولولاه لما فعلوا ذلك)[2].

٢- قوله تعالىٰ في بيان شبهة إلقاء الشيطان في القراءة: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾ [الحج:٥٢-٥٣]، فقد أخبر تعالىٰ أنه ما أرسل من رسول قبل محمد ﷺ إلا إذا قرأ ألقىٰ الشيطان في قراءته من طرقه ومكايده ما هو

---

(١) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، القيسي، مكي بن أبي طالب (٩/ ٥٨٨٨).

(٢) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٧/ ١٢٣).



مناقض لتلك القراءة، مع أن الله تعالىٰ قد عصم الرسل بما يبلغون عن الله، وحفظ وحيه أن يشتبه، أو يختلط بغيره، ولكن هذا الإلقاء من الشيطان، غير مستقر ولا مستمر، وإنما هو عارض يعرض، ثم يزول، وللعوارض أحكام[1]، وهذا الإلقاء من الشيطان إنما يورث الشبهة في القلب بسبب مرضه، وقسوته، وهي علة هذه الشبهة، قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): (قال تعالىٰ: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ لأن ذلك أورث شبهة عندهم، والقاسية قلوبهم ليبسها، فأولئك قلوبهم ضعيفة بالمرض فصار ما ألقىٰ الشيطان فتنة لهم، وهؤلاء كانت قلوبهم قاسية عن الإيمان فصار فتنة لهم...والقرآن شفاء لما في الصدور، ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات)[2].

٣- قوله تعالىٰ في شبهة تعلم النبي ﷺ من غيره: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:١٠٣]، فبعد أن بين هذه الشبهة قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل:١٠٤]، و«موقع هذه الجملة من التي قبلها موقع التعليل لجميع أقوالهم المحكية، والتذييل لخلاصة أحوالهم، ولذلك فُصلت بدون عطف»[3].

٤- قوله تعالىٰ في شبهة القول بافتراء القرآن: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٥٤٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية، (١٠/ ٩٥)؛ وقد أشار إلىٰ هذه العلة أيضًا: السعدي في تفسيره (ص٥٤٢).

(٣) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٨٩).



مِّثۡلِهِۦ﴾ [يونس:٣٨]، فإنه تعالىٰ ذكر السبب الذي لأجله كذبوا القرآن، فقال بعد ذلك: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾ [يونس:٣٩](١)، فهو كلام ناشئ عن جهلهم بشأنه الجليل(٢)، وإنما يكون مثل هذا التكذيب عن مكابرة وعداوة لا عن اعتقاد كونه مكذوبًا(٣).

٥- قوله تعالىٰ في شبهة وصف القرآن بالسحر: ﴿وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [سبأ:٤٣]، وقد أظهر القائلين دون إضمار، فقيل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾، ولم يقل: وقالوا للحق لما جاءهم؛ للدلالة علىٰ أن الكفر هو باعث قولهم هذا(٤).

٦- قوله تعالىٰ في شبهة إنكار تخصيص النبي ﷺ بالوحي: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ﴾ [ص:٨]، قال الرازي في بيان علة القول بهذه الشبهة: (﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ﴾ أي: من الدلائل التي لو نظروا فيها لزال هذا الشك عنهم؛ وذلك لأن كل ما ذكروه من الشبهات فهي كلمات ضعيفة، وأما الدلائل التي تدل بنفسها علىٰ صحة نبوته فهي دلائل قاطعة، فلو تأملوا حق التأمل في الكلام لوقفوا علىٰ ضعف الشبهات التي تمسكوا بها في إبطال النبوة، ولعرفوا صحة الدلائل الدالة علىٰ صحة نبوته، فحيث لم يعرفوا ذلك كان لأجل أنهم تركوا النظر

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٧/ ٢٥٥).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١٤٦)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٣٦٤).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١١/ ١٧٢).

(٤) المرجع السابق (٢٢/ ٢٢٧).



والاستدلال)[1]، وفي قوله: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ ﴾ وأمثاله كقوله: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف:٣١] دليل علىٰ أن مناط تكذيبهم ليس إلا الحسد، وقصر النظر علىٰ الحطام الدنيوي[2]، وهي علة أخرىٰ تشارك العلة السابقة.

٧- قوله تعالىٰ في شبهة اتهام النبي ﷺ بالسحر والجنون: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ ﴾ [الذاريات:٥٢-٥٣]، وبعد بيان شبهتهم، واتفاقهم فيها قال: ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات:٥٣]، فالعلة في ذلك أن جميعهم طاغ، والطاغي: المستعلي في الأرض، المفسد العاتي علىٰ الله[3]، قال ابن عباس (ت٦٨هـ) رضي الله عنهما: «حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم علىٰ تكذيبك»[4].

٨- قوله تعالىٰ في بيان جملة من شبه المكذبين بالوحي: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴾ [الأحقاف:١٠-١١]، وهذه الآية هي في سياق ذكر شبهات متتالية، منها: وصفهم القرآن بالسحر: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف:٧]، وشبهة القول بافتراء القرآن: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ ﴾ [الأحقاف:٨]، وقد نبه

(١) مفاتيح الغيب (٢٦/ ٣٦٩).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٧/ ٢١٦).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٨٢)؛ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (٣/ ٣٨٠).

(٤) أورده البغوي في تفسيره (٤/ ٢٨٧).



الله علىٰ أن مزاعمهم كلها ناشئة عن كفرهم واستكبارهم بقوله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ وقوله: ﴿ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ ﴾، وقوله: ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ ﴾، وقوله: ﴿ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ ﴾ ...الآية(١)، فكانت تعليلًا لشبهاتهم المذكورة.

٩- قوله تعالىٰ في شبهة تكذيب القرآن وطلب تبديله: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ ﴾ [يونس:١٥]، ففي قوله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ وضع الموصول موضع الضمير إشعارًا بعليّة ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم، وأنهم إنما اجترؤوا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالىٰ يوم اللقاء؛ لإنكارهم له، ولما هو من مباديه من البعث، وذمًّا لهم بذلك(٢).

***

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٢).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١٢٨)؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٩/ ٨٧).

❋ القاعدة التاسعة: ختم الرد علىٰ الشبهة بخلاصة عامة.

أصّل القرآن الكريم قاعدة فريدة في الرد علىٰ الشبهات وهي التعقيب بالإجمال بعد التفصيل، وختم الشبهة بخلاصة عامة للرد عليها، وهي قاعدة مهمة لاسيّما في الشبهات المركبة، أو الشبهات التي يجمعها موضع واحد مع تنوعها؛ لأن فيها توحيدًا لفكرة الرد، وبيانًا لقوة الحجة، وتأكيدًا علىٰ تحقيق شمولية الرد لكل ما يناسبه من شبهات قد تطرأ بعد ذلك، ومن أمثلة هذه القاعدة أن الله تعالىٰ قد أورد جملة من الشبهات ورد عليها في سورة الفرقان، حتىٰ كان إيرادها في هذه السورة إحدىٰ خصائصها، يقول ابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ): (قد تضمنت هذه السورة من النعي علىٰ الكفار، والتعريف ببهتهم، وسوء مرتكبهم، ما لم يتضمن كثير من نظائرها)[١]، ومن ذلك قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ [الفرقان:٤]، وقوله: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا ﴾ [الفرقان:٥]، وقوله: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ [الفرقان:٧]، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾ [الفرقان:٨]، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ [الفرقان:٢١]، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [الفرقان:٣٢]، ثم إن الله تعالىٰ لمـّا استقصىٰ أكثر معاذيرهم وتعلّلاتهم، وألقمهم أحجار الرد، عطف علىٰ ذلك فَذْلَكَة[٢] جامعة تعمّ ما تقدم، وما عسىٰ أن يأتوا به من الشكوك والتمويه بأن

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن (ص٢٦١).

(٢) فَذْلَكَة: مصدر فَذْلَكَ، وهي: خلاصة، ومُجمل ما فُصِّل، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٦٨٣).

كل ذلك مدحوض بالحجة الواضحة الكاشفة لترهاتهم(١)، فقال: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان:٣٣]، والمراد بالمثل أي: من الجنس الذي تقدم ذكره من الشبهات(٢)، فعن ابن عباس (ت٦٨هـ) رضي الله عنهما قال: «﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي: بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم»(٣)، وفي الآية شاهد علىٰ عموم الشبهة وعموم الحجة المقترنة بها، وذلك بتنكير (مثل) في سياق النفي(٤)، فهم بذلك «محجوجون في كل أوان، مدفوع قولهم بكل وجه، وعلىٰ كل حالة»(٥).

***

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٩/ ٢١).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٤/ ٤٥٧).

(٣) أورده ابن كثير في تفسيره (٦/ ١٠٩).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٩/ ٢١).

(٥) فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني (٤/ ٨٦).



*** القاعدة العاشرة: مراعاة الترتيب في عرض الشبهة وجوابها.**

إن مراعاة ترتيب الشبهة وجوابها له أهميته في جودة البيان ووضوح المطلوب، وتحقيق المقصود من الرد علىٰ الشبهات، وإفحام الخصوم، وإظهار الحق ودلائله في أكمل صورة، كما هو المنهج القرآني في ذلك، فقد عرض القرآن الكريم نموذجًا مثاليًّا لترتيب الرد علىٰ الشبهات بما يشتمل عليه من إيراد الشبهة، ومناقشة أدلتها، وبيان بطلان الاحتجاج لها، ثم تذييل ذلك بالدليل علىٰ صحة المطلوب، ومما يدل علىٰ هذا المنهج بتمامه هو العرض القرآني للشبهات في سورة ص، فقد قال تعالىٰ في بيانها: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [ص:٤]، وقال: ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ [ص:٧]، وقال: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص:٨]، ثم عرض سبحانه قصص الأولين: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ [ص:١٢]، ثم عرض عاقبة أهل الحق: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص:٤٩]، وعاقبة أهل الباطل: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ﴾ [ص:٥٥]، وهذا العرض متصل بجواب الشبهات المذكورة، ثم كان تذييل هذا الجواب بالدليل علىٰ صحة المطلوب وهو قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [ص:٦٥-٦٦]، وهذا الترتيب القرآني قد جاء علىٰ أحسن الوجوه، كما يبينه الرازي (ت٦٠٦هـ) بقوله: (اعلم أنه تعالىٰ لمـّا حكىٰ في أول السورة أن محمدًا ﷺ لمـّا دعا الناس إلىٰ أنه لا إله إلا الله واحد، وإلىٰ أنه رسول مبين من عند الله، وإلىٰ أن القول بالقيامة حق، فأولئك الكفار أظهروا السفاهة وقالوا: إنه ساحر كذاب، واستهزؤوا بقوله، ثم إنه تعالىٰ ذكر قصص الأنبياء لوجهين، الأول: ليصير ذلك حاملًا لمحمد ﷺ علىٰ



التأسي بالأنبياء عليهم السلام في الصبر علىٰ سفاهة القوم، والثاني: ليصير ذلك رادعًا للكفار علىٰ الإصرار علىٰ الكفر والسفاهة...ولمـّا تمّم الله تعالىٰ ذلك الطريق أردفه بطريق آخر وهو شرح نعيم أهل الثواب وشرح عقاب أهل العقاب، فلما تمّم الله تعالىٰ هذه البيانات عاد إلىٰ تقرير المطالب المذكورة في أول السورة وهي: تقرير التوحيد، والنبوة، والبعث، فقال: قل يا محمد إنما أنا منذر، ولا بد من الإقرار بأنه ما من إله إلا الله الواحد القهار، فإن الترتيب الصحيح أن تذكر شبهات الخصوم أولًا ويجاب عنها، ثم نذكر عقيبها الدلائل الدالة علىٰ صحة المطلوب، فكذا هاهنا أجاب الله تعالىٰ عن شبهتهم، ونبه علىٰ فساد كلماتهم، ثم ذكر عقيبه ما يدل علىٰ صحة هذه المطالب؛ لأن إزالة ما لا ينبغي مقدمة علىٰ إثبات ما ينبغي، وغسل اللوح من النقوش الفاسدة مقدم علىٰ كتب النقوش الصحيحة فيه، ومن نظر في هذا الترتيب اعترف بأن الكلام من أول السورة إلىٰ آخرها قد جاء علىٰ أحسن وجوه الترتيب والنظم)[1]، وإلىٰ هذا الترتيب أشار ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) - أيضًا - فقال في تفسير قوله: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞ ﴾ ...الآية: (هذا راجع إلىٰ قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ [ص:٤]، وإلىٰ قوله: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ ﴾ [ص:٨]، فلما ابتدرهم الجواب عن ذلك التكذيب بأن نظّر حالهم بحال الأمم المكذبة من قبلهم، ولتنظير حال الرسول ﷺ بحال الأنبياء الذين صبروا، واستوعب ذلك بما فيه مقنع، عاد الكلام إلىٰ تحقيق مقام الرسول ﷺ من قومه فأمره الله أن يقول: ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞ ﴾ مقابل قولهم: ﴿ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾، وأن يقول: ﴿ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ مقابل إنكارهم التوحيد كقولهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا

(١) مفاتيح الغيب (٢٦/ ٤٠٦).



وَٰحِدًاۖ ﴾ [ص:٥])[1].

وهذا فيما يتعلق بالترتيب العام للشبهة وجوابها، وقد ظهرت عناية القرآن - أيضًا - في مراعاة الترتيب في الجواب ذاته، على أحسن الوجوه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ ﴾ [يونس:١٥]، والمراد بهم قريش؛ لأن بعض كفارهم قال هذه المقالة على معنى ساهلنا يا محمد، واجعل هذا الكلام الذي هو من قبلك على اختيارنا، وأحل ما حرمته، وحرم ما حللته، ليكون أمرنا حينئذ واحدًا وكلمتنا متصلة[2]، ثم كان الجواب: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس:١٥]، قال أبو حيان (ت٧٤٥هـ): (وانظر إلى حسن هذا الجواب لما كان أحد المطلوبين التبديل بدأ به في الجواب، ثم أتبع بأمر عام يشمل انتفاء التبديل وغيره، ثم أتى بالسبب الحامل على ذلك وهو الخوف، وعلقه بمطلق العصيان، فبأدنى عصيان ترتب الخوف)[3]، وقد قيل: إنما اكتفى بالجواب عن التبديل؛ للإيذان بأن استحالة ما اقترحوه أولًا من الظهور بحيث لا حاجة إلى بيانها[4]، وقيل: إنه ﷺ نفى عن نفسه أسهل القسمين وهو التبديل ليكون دليلًا على نفي أصعبهما بالطريق الأولى[5]، وفي هذا ترتيب للجواب

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٩٥).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١١٠).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٢٤).

(٤) ينظر: محاسن التأويل (٦/ ١١).

(٥) ينظر: فتح القدير (٢/ ٤٨٩).

بإيجاز بديع، بعد بسط حجتهم علىٰ وجه التفصيل، وانتقال للأهم وهو بيان علة هذا النفي.

ويتصّل بهذا الموضع ترتيب الجواب عن مقتضيات قولهم، فقد أتبع الجواب السابق بجواب آخر وهو قوله: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس:١٦]، وبيان ذلك أنه لما كان لاقتراحهم معنىٰ صريح وهو الإتيان بقرآن آخر أو تبديل آيات القرآن الموجود، ومعنىٰ التزامي كنائي وهو أنه غير منزل من عند الله، وأن الذي جاء به غير مرسل من الله، كان الجواب عن قولهم جوابين، أحدهما: ما لقنه الله بقوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ﴾، وهو جواب عن صريح اقتراحهم، وثانيهما: ما لقنه بقوله: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾، وهو جواب عن لازم كلامهم[1].

***

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١١/ ١١٧-١١٨).

*** القاعدة الحادية عشرة: مناسبة الجواب لحال القائل بالشبهة.**

إن من أبرز القواعد في الرد على الشبهات هو أن يُراعى في الجواب مناسبته لحال صاحب الشبهة؛ حيث يسهم ذلك في اختيار الجواب الملائم، ويحقق المقصود منه بإبطال الشبهة، وقد برزت عناية القرآن بهذا الجانب في عدة مواضع، منها:

١ - مناسبة الجواب لحال القائل بالشبهة جادًّا كان أو مستهزئًا، ويشهد له قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس:١٥]، فإن قولهم: ﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ ﴾ «يحتمل أن يكون جدًّا، ويحتمل أن يريدوا به الاستهزاء، وعلى الاحتمالين فقد أمر الله نبيئه ﷺ بأن يجيبهم بما يقلع شبهتهم من نفوسهم إن كانوا جادّين، أو من نفوس من يسمعونهم من دهمائهم فيحسبوا كلامهم جدًّا فيترقبوا تبديل القرآن»(١)، وإن كان من باب الاستهزاء الظاهر، فيكون الجواب منه ﷺ من باب مجاراة السفهاء بعد أن أمره الله سبحانه بذلك، وهو أعلم بمصالح عباده، وبما يدفع الكفار عن هذه الطلبات الساقطة، والسؤالات الباردة(٢)، ويشهد لذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ [طه:١٠٥]، فلما جرى ذكر البعث ووصف ما سينكشف للذين أنكروه من خطئهم في شبهتهم بتعذر إعادة الأجسام بعد تفرق أجزائها، ذُكرت أيضا شبهة من شبهاتهم التي كانوا يسألون بها النبي، فكانوا يحيلون انقضاء هذا العالم، ويقولون: فأين تكون هذه الجبال التي نراها؟ وسواء كان سؤالهم استهزاءً أم

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ١١٧).

(٢) ينظر: فتح القدير (٢/ ٤٨٩).



استرشادًا، فقد أنبأهم الله بمصير الجبال إبطالًا لشبهتهم وتعليمًا للمؤمنين[1].

٢- مناسبة الجواب لحال القائل بالشبهة إذا كان مُتعنِّتًا، فقد قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ ﴾ [آل عمران:١٨٣]، فهي شبهة للكفار للطعن في نبوته ﷺ، وتقريرها أنهم قالوا: إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتىٰ يأتينا بقربان[2] تأكله النار، وأنت يا محمد ما فعلت ذلك، فوجب أن لا تكون من الأنبياء[3]، وقد أجابهم تعالىٰ بقوله: ﴿ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران:١٨٣]، أي: قد جاءكم رسل بالآيات الباهرة البينة، وفي جملتها ما قلتم من أمر القربان فلم قتلتموهم يا بني إسرائيل؟ والمعنىٰ: بل هذا منكم تعلّل وتعنت، ولو أتيتكم بالقربان لتعللتم بغير ذلك، والاقتراح لا غاية له، ولا يجاب كل مقترح[4]، وكان هذا القدر كافيًا في الجواب عن شبهتهم التي مردها إلىٰ التعنت.

***

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٣٠٦-٣٠٧).

(٢) القُربان: ما يتقرب به إلىٰ الله، وصار في التعارف اسمًا للنسيكة التي هي الذبيحة، ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص٦٦٤).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٩/ ٤٤٩)؛ اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (٦/ ٩٤).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٤٩)؛ الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٩٦).

الخاتمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا، والشكر له سبحانه علىٰ ما تفضل به من تيسير العمل، والتوفيق لإتمامه، وقد خرج هذا البحث **بنتائج منها**:

١- أن القرآن الكريم هو المصدر الأول الذي يُعتمد عليه في تأصيل علم الانتصار لكتاب الله تعالىٰ.

٢- أن للمفسرين جهودًا بارزة في بيان المنهج القرآني وقواعده في الرد علىٰ الشبهات، ولهم بذلك قصب السبق في تقعيد هذا العلم.

٣- أن المنهج القرآني في التعامل مع الشبهات قد فاق المناهج العقلية بما له من خصائص تميّزه عن غيره.

٤- أن شمولية المنهج القرآني في عرض مختلف الشبهات، والتنوع في الجواب عنها، يجعل منه مرجعًا أصيلًا لمن أراد الانتصار للقرآن.

٥- أن المنهج القرآني تميز بالثبات، مما يجعل جوابه صالحًا لكل زمان ومكان.

٦- أن بلاغة القرآن الكريم قد تجلّت في أعظم صورها عند الرد علىٰ الشبهات المتكررة في القرآن الكريم.

٧- أن المنهج القرآني قد عالج أشد الشبهات، ولم يخرج عن حدّ الوضوح واليسر في خطابه، وعرض حججه، فلا يُعدل عنه إلىٰ المناهج المتكلّفة في النقد.

٨- أن الرد علىٰ الشبهات المتجددة لابد أن يرتكز أوّلًا علىٰ الجواب القرآني عن نظيرها، أو علىٰ الأصول العامة التي قرّرها القرآن.

٩- أن الرد علىٰ الشبهات لابد أن يقوم علىٰ قواعد ضابطة، وأن يسير وفق منهج



علمي، ليُحقق مقصوده، وقد رصد هذا البحث إحدىٰ عشرة قاعدة قرآنية في الرد علىٰ الشبهات.

ومن أهم التوصيات:

١- إبراز جهود العلماء المتقدمين في بيان قواعد الرد علىٰ الشبهات بالنظر في مؤلفاتهم.

٢- مزيد العناية بالتأصيل لعلم الانتصار لكتاب الله تعالىٰ، والخروج بدراسات أكاديمية متكاملة في هذا الجانب.

هذا وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، عام ١٣٩٤هـ.
- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- استخراج الجدال من القرآن الكريم، ابن الحنبلي، عبد الرحمن بن نجم (ت٦٣٤هـ)، تحقيق: زاهر الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط٢، عام ١٤٠١هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، عام ١٤١٥هـ.
- الانتصار للقرآن، الباقلاني، محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: محمد القضاة، دار الفتح، عمَّان، ط١، عام ١٤٢٢هـ.
- بحر العلوم، السمرقندي، نصر بن محمد (ت٣٧٣هـ)، تحقيق: علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- البحر المحيط، أبو حيان، محمد بن يوسف (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، د.ط، عام ١٤٢٠هـ.
- البرهان في تناسب سور القرآن، ابن الزبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم (ت٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د.ط، عام ١٤١٠هـ.
- التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ)، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، عام ١٩٨٤هـ.

- التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤٠٣هـ.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، القلموني، محمد رشيد بن علي رضا (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، د.ت.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، عام ١٤٢٠هـ.
- تفسير القرآن، السمعاني، منصور بن محمد (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض، ط١، عام ١٤١٨هـ.
- تفسير مقاتل بن سليمان، البلخي، مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)، تحقيق: عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، عام ١٤٢٣هـ.
- تهذيب اللغة، الأزهري، محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، عام ١٤٢٢هـ.
- التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط١، عام ١٤١٠هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط١، عام ١٤٢٠هـ.
- جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط١، عام ١٤٢٠هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، عام ١٣٨٤هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي (ت٩١١هـ)، عبد الرحمن بن أبي بكر، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، عام ١٤٢٢هـ.



- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، عام ١٤٠٧هـ.
- العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، لبنان، د.ط، د.ت.
- فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط١، عام ١٤١٤هـ.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أيوب بن موسىٰ (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.
- اللباب في علوم الكتاب، النعماني، عمر بن عادل (ت٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤١٩هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، عام ١٤١٤هـ.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، القسطلاني، أحمد بن محمد (٩٢٣هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د.ط، عام ١٤٣٤هـ.
- مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د.ط، عام ١٤١٦هـ.
- محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤٢٢هـ.
- مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، عام ١٤٢٠هـ.



- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، عبدالله بن أحمد (ت٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، د.ط، عام ١٤١٩هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحموي، أحمد بن محمد (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- معالم التنزيل، البغوي، الحسين بن مسعود (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، عام ١٤٢٠هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، عام ١٤٠٨هـ.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار (ت١٤٢٤هـ)، وفريق عمل، عالم الكتب، بيروت، ط١، عام ١٤٢٩هـ.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفىٰ وآخرون)، دار الدعوة، مصر، د.ط، د.ت.
- مفاتيح الغيب، الرازي، محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، عام ١٤٢٠هـ.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، عام ١٤١٢هـ.
- مقاييس اللغة، الرازي، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، د.ط، عام ١٣٩٩هـ.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، محمد بن علي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: علي دحروج، ترجمة: عبدالله الخالدي، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، عام ١٤١٦هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.



- الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، القيسي، مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، حُقق في مجموعة رسائل علمية بجامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، عام ١٤٢٩هـ.

* * *

List of Sources and References

- 'Adwa' albayan fi 'iidah alquran bialqirani, alshanqitii, muhamad al'amin bin muhamad almukhtar (1393h), dar alfikr liltabaeat walnashr waltawziei, bayrut, labnan, 1415h.
- Aistikhraj aljidal min alquran alkarimi, abn alhanbalii, eabd alruhmin bin najam (634h), Investigated by: zahir al'almaei, matabie alfuruzdq altijariati, alrayad, 1401h.
- Alaintisar lilqurani, albaqilanii, muhamad bin altayib (403h), Investigated by: muhamad alqadat, dar alfath, emman, 1422h.
- Albahr almahitu, 'abu hian, muhamad bin yusif (745h), Investigated by: sadqi jamil, dar alfukr, birut, 1420h.
- Alburhan fi tanasab suar alqurani, abn alzabir alghurnatii, 'ahmad bin 'iibrahim (708h), Investigated by: muhamad shaeibani, wizarat al'awqaf walshuwuwn al'iislamiati, almughrib, 1410h.
- Alduru almanthur fi altafsir bialmathuir, alsayuti (911h), eabd alruhmin bin 'abi bikr, dar alfukr, birut.
- Aleayn, alfarahidiu, alkhalil bin 'ahmad (170h), Investigated by: mahdi almakhzumi, wa'iibrahim alsamrayy, dar wamuktabat alhilali, labanani.
- Alhidayat 'iilaa bulugh alnihayat fi eilm maeani alquran watafsirihi, wa'ahkamihi, wajamal min funun eulumihi, alqisii, maki bin 'abi talab (437h), huqq fi majmueat rasayil eilmiat bijamieat alsharqt, majmueat bihawth alkitab walsanati, al'iimarat alearabiat almutahadati, first edition, 1429h.
- Al'iitqan fi eulum alqurani, alsyuti, eabd alruhmin bin 'abi bikr (911h), Investigated by muhamad 'abu alfadl 'iibrahima, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, alqahirati, 1394h.
- Aljamie li'ahkam alqurani, alqartabii, muhamad bin 'ahmad (671h), Investigated by: 'ahmad albirdwny, wa'iibrahim 'atfish, dar alkutub almisriat, alqahirat, second *edition*, 1384.
- Alkuliyat muejam fi almustalahat walfuruq allaghawiati, alkifwi, 'ayuwb bin musaa (1094h), Investigated by: eadnan darwish, wamuhamad almisri, muasasat alrasalat, bayruat.
- Allibab fi eulum alkitabi, alnaemanii, eumar bin eadil (775h), Investigated by: eadil 'ahmad, waealia mueawad, dar alkutub aleilmiat, bayrut, first edition, 1419h.
- Almaejam alwasitu, majmae allughat alearabiat bialqahira ('ibirahim mustafaa wakharuna), dar alduewat, masr.
- Almisbah almunir fi gharib alsharh alkabira, alhamawii, 'ahmad bin muhamad (770h), almaktabat aleilmiata, bayrut.
- Almufradat fi ghurayb alqurani, alrraghib alasfhani, alhusayn bin muhamad (502h), Investigated by: safwan eadnan aldawidi, dar alqalm, dimashq, first edition, 1412h.



- Almuharir alwajiz fi tafsir alkitab aleazizi, abn eatiat, eabd alhaq bin ghalib (542h), Investigated by: eabd alsalam eabd alshaafi, dar alkutub aleilmiat, bayrut, first edition, 1422h.
- Alsahah taj allughat wasahah alearabiat, aljawhari, 'iismaeil bin hammad (393h), Investigated by: 'ahmad eatar, dar aleilm lilmalayin, bayrut,4 *th* edition,1407h.
- Altabyan fi 'aqsam alqurani, abn alqimi, muhamad bin 'abi bikr (751h), maktabat almatanbi, alqahirat.
- Altaerifatu, aljurjaniu, eali bin muhamad (816h), Investigated by: jamaeat min aleulama'i, dar alkutub aleilmiatu, bayrut, 1403h.
- Altahrir waltanwiru, abn eashur, muhamad altaahir bin muhamad (1393h), aldaar altuwnisiat lilnashr, tunis, 1984h.
- Altawqif ealaa muhimaat altaearifi, almanawi, eabd alruwuwf bin taj alearifin (1031h), ealam alkutub, alqahirat, first edition, 1410h.
- Bahr aleulum, alsmrqndy, nasr bin muhamad (373h), Investigated by: eali mueawad, dar alkutub aleilmiat, biruat.
- Fath alqadir aljamie bayn fny alrawaayat waldirayat min eilm altafsiri, alshuwkanii, muhamad bin eali (1250h), dar abn kathir, dimashq, first edition, 1414h.
- 'Iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitab alkarimi, 'abu alsueud, muhamad bin muhamad (982h), dar 'iihya' alturath alearaby, bayruat.
- Jamie albayan fi tawil alqurani, altabrii, muhamad bin jarir (310h), Investigated by: 'ahmad muhamad shakir, muasasat alrisalat, labnan, first edition, 1420h.
- latayif al'iisharat lifunun alqara'ati, alqstlany, 'ahmad bin muhamad (923h), Investigated by: markaz aldirasat alquraniati, majmae almalik fahd litabaeat almashaf alsharifa, almadinat almunawarati, 1434h.
- lisan alearab, abn manzur, muhamad bin mukrim (711h), dar sadir, bayrut, third edition, 1414h.
- Maealim altanzili, albaghwia, alhusayn bin maseud (510h), Investigated by: eabd alrazzaq almahdi, dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut, first edition, 1420h.
- Maeani alquran wa'iierabihu, alzujaju, 'iibrahim bin alsiriy (ta311ha), Investigated by: eabd aljalil shalabii, ealam alkatub, bayruut, first edition, 1408h.
- Maejim allughat alearabiat almueasirati, 'ahmad mukhtar (1424h), wafariq eamal, ealam alkatub, bayrut, first edition, 1429h.
- Mafatih alghayba, alraazi, muhamad bin eumar (606h), dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut, third edition , 1420h.
- Majmue alfatawaa, abn taymiat, 'ahmad bin eabd alhalim (728h), Investigated by: eabd alruhmin bin qasim, majmae almalik fahd litabaeat almashaf alshryf, almadinat almunawarat, 1416h.
- Maqayis allighati, alraazi, 'ahmad bin faris (395h), Investigated by: eabd alsalam harun, dar alfukr, dimashq, 1399h.
- Mawsueat kashaf aistilahat alfunun walealumi, altahanwi, muhamad bin eali (after1158h), Investigated by: eali dahuruj, trjmt: eabdallah alkhaldi, maktabat lubnan, bayrut, first edition, 1416h.



- Mudarik altanzil wahaqayiq altaawili, alnasfii, eabdallah bin 'ahmad (710h), Investigated by: yusif bidywi, dar alkalim altiyibu, bayrut, 1419h.
- Muhasin altaawili, alqasimii, muhamad jamal aldiyn bin muhamad (1332h), Investigated by: muhamad basil, dar alkutub aleilmiat, bayrut, first edition, 1418h.
- Mukhtar alsahahi, alraazi, muhamad bin 'abi bikr (666h), Investigated by: yusif alshaykh muhmid, almuktabat aleisriat, bayrut, 5 *th* edition, 1420h.
- Nazamu aldarar fi tanasab alayat walsuwri, albiqaei, 'iibrahim bin eumar (885h), dar alkitab al'iislami, alqahirat.
- Tafsir alquran aleazimi, abn kathir, 'iismaeil bin eumar (774h), Investigated by: sami salamat, dar tayibat lilnashr waltawziei, alrayad, second edition, 1420h.
- Tafsir alquran alhakim (tfasir almanara), alqilmunii, muhamad rashid bin eali rida (1354h), alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, alqahirati.
- Tafsir alquran, alsumaeanii, mansur bin muhamad (489h), Investigated by: yasir bin 'iibrahim, dar alwtn, alrayad, first edition, 1418h.
- Tafsir muqatil bin sulaymani, albalkhi, muqatil bin sulayman (150h), Investigated by: eabdallah mahmud shihatihi, dar 'iihya' altarathu, bayruta, first edition, 1423h.
- Tahdhib allaghata, al'azharii, muhamad bin 'ahmad (370h), Investigated by: muhamad eawdi, dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut, first edition,1422h.
- Taysir alkarim alrahmini fi tafsir kalam almanani, alsuedi, eabd alruhmin bin nasir (1376h), Investigated by: eabd alrahmin allwyhq, muasasat alrisalat, labnan, first edition, 1420h.
- Zad almasir fi eilm altafsiri, abn aljawzii, eabd alruhmin bin eali (597h), Investigated by: eabd alrazzaq almahdi, dar alkitab alearabi, bayrut, first edition, 1422h.

